المحاضرة الأولى:

تعريف الترجمـة وضبط دوافعها

المبحث الأول: تعريف الترجمة:

للترجمة عموماً معنيان: ترجمة فلان بمعنى سيرة فرد من الناس أو تاريخ حياته وجمعها تراجم. ثم تفسير الكلام أو شرحه أو نقله من لغة إلى لغة.

لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور : التُرجمان والتَرجمان : المفسّر للسان، وهو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى.

وجاء في المعجم الوسيط أيضاً (ترجم لفلان: ذكر ترجمته، والترجمان: وجمعه تراجم وتراجمة، وترجمة فلان: سيرته وحياته وجمعها تراجم). وقد جاء في الصحاح في اللغة والعلوم (ترجم – يقال: قد ترجم كلامه، إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان، والجمع التراجم، والترجمة: النقل من لغة إلى أخرى).

اصطلاحا : هي شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر من لغة أخرى إلى لغة المتلقي أو المستمع. فهي بالنسبة للمترجم تفسير فكرة مصاغة من قبل غيره ضمن لغة أخرى ... ويترتب عليه أن ينقلها بلغة أخرى. (سالم العيس، 1999، ص 6)ـ والترجمة فن جميل يعنى بنقل ألفاظ ومعان وأساليب من لغة إلى أخرى، بحيث أن المتكلم باللغة المترجم إليها يتبيّن النصوص بوضوح ويشعر بها بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية. (صفاء خلوصي، 1982، ص 14)

وربما كان من المفيد أن نذكر العلاقة بين الفعل ترجم في العربية والفرنسية والإنكليزية، وما كلمة "درغمان" Dragoman / Drogmanفي الفرنسية وDragoman الإنكليزية أيضاً إلا كلمة "ترجمان" العربية التي طرأ عليها التعديل كما حدث لكثير من الكلمات التي تدخل بين اللغات. [1]

ونجد مصطلح "الترجمة" يعني اليوم نقل كلام من لغة إلى لغة، مفردات أو نصوصاً أو كتباً كاملة.

ويُحتّم المقام تحديد الفرق بين كلمتي "المترجم" و"التُرجُمان" :

ورد بخصوص الفعل ترجم في لسان العرب وفق ما ورد ذكره أعلاه (يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والشخص يسمى الترجمان وهو الذي يفسر الكلام) دون بيان الفرق بين المفردتين، حيث يُسند إلى كلمة "المترجم" وجمعه مترجمون معنى من يتكفل بعملية الترجمة الكتابية (أو التحريرية) ونُسميه: Translator - Traducteur، و لـ "التُرجُمان" وجمعه تراجمة معنى من يتكفل بالترجمة الشفوية (ترجمة الكلام المنطوق)، ونُسمّيه: Interpreter - Interprète.

---

(1)- جاء في معجم روبير الصغير Le Petit Robert: أن الكلمة عرفت منعزلة في الفرنسية عام 1213م، وعرفت في الاستعمال السياقي في عام 1553 م، ويشير إلى أنها من أصل إيطالي Dragomano وهو باليونانية والبيزنطية Dragoymanos ومعناه المترجم. ويشير أيضاً إلى أنها كلمة قديمة لتسمية المترجم، وهي لم تعد تستعمل اليوم، وهي تسمية المترجم عند الإفرنج والملاحظ أنها تحريف للكلمة العربية "ترجمان".

المبحث الثاني: دوافع الترجمة

الترجمة هي بنت الحضارة ورفيقتها الدائمة عبر الزمان والمكان، إنها النافذة التي تفتحها الشعوب المختلفة لتستنير بنور غيرها، عرفتها الإنسانية عبر مختلف العصور وما انقطع الإنسان عن ممارستها لحاجته إليها. و من بواعث الترجمة :

أ- المطلب والحاجة : وهي من أهم بواعثها وأبلغها فعالية، وقد يكون هذا المطلب ديني أو علمي أو سياسي أو عمراني أو تجاري أو غير ذلك. فحركة النقل في الغرب كانت وليدة الحاجة لنقل علوم العرب المتطورة والتي كان يفتقدها. سواء من علوم الفلك-الرياضيات- الهندسة المعمارية- الشعر -الأدب وغير ذلك، كما أن حركة النقل في العصر العباسي خاصة كانت أيضاً وليدة الحاجة فقد نقل العرب الفلسفة والطب وغيرها من العلوم التي كانوا يجهلونها.

ب- التواصل: عرف الإنسان المتحضر فضل الترجمة منذ زمان بعيد، فهي الجسر الذي تعبر عليه ثقافة الأمم بعضها إلى بعض فتزيد المعرفة وتعمق متعة الحياة في هذا العالم.

ج- خدمة المعرفة الإنسانية : الترجمة العلمية والأدبية هما اللذان يخدمان المعرفة الإنسانية. ورغم تأخر ظهور الهيئات والمؤسسات التي تعني بشؤون اللغة من ألفاظ ومصطلحات وتراكيب، فإن خدمة المعرفة الإنسانية لم تنقطع ولم يُعطّل دولاب العمل الفردي أو الجماعي في هذا المجال.

د- المواكبة والتغطية العلمية والأدبية والقانونية للمصطلحات الجديدة ولكل رافد حديث :
مواكبة الإنتاج العلمي والفكري المترجم من اللغات الأجنبية الحية ضرورة لا بد منها، إثراء للمكتبات ونشراً لمختلف فنون المعرفة الحديثة بين جمهور القراء، ورغبة في نقل الإنتاج الحديث إلى المجال العالمي. فالترجمة هي متن المواكبة وبواسطتها تتناسق الأفكار والمعطيات العلمية والتيارات الأدبية والفلسفية والأيديولوجية بعضها إلى بعض.

هـ- المتعة وصقل الذوق والخيال: ساهمت الترجمة بتغيير الذوق والمفاهيم الشعرية لدى الجمهور وهو الباعث الأساسي لهذا التغيير، وأبرز إثبات على ذلك هذه الأعداد الضخمة من القصص البوليسية والغرامية التي نقلت أو ترجمت على مدى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومطلع القرن العشرين، لبّى خلالها الأدباء والمترجمون مطلب القراء.

و- الثقافة: الثقافة هي من أهم البواعث إلى الترجمة، وتتزايد أهمية الثقافة بتزايد انفتاح الشعوب بعضها على بعض، وهذا الانفتاح لا يتم إلاّ بالترجمة، لأنه عن طريقها يتاح لكل فرد منا أن يقرأ بلغته علوم الغرب والشرق، واكتشافاته الحديثة، فأصبحت السبيل إلى الاطلاع على كل جديد في الفكر والعلم والفن والأدب. (سالم العيس، 1999، ص 9-12)

المبحث الثالث: الترجمة وحوار الثقافات

تظل الترجمة نشاطا يكتسي أهمية بالغة ويلقى انتشارا واسعا لأنه يؤدي دورا هاما في مد الجسور بين الثقافات ومختلف الأمم وكذا زيادة الوعي والتفاهم والتوافق بينها. وقد أصبحت علاقة ترجمة الأدب بحوار الثقافات من أهم انشغالات الفكر المعاصر، وأضحت ترجمة النصوص الأدبية لما تحمل في ثناياها من مكونات ثقافية مميّزة من الحقائق التي تؤكد دورها في مد جسور الحوار بين الثقافات من خلال التركيز على مبدأ الاختلاف وخلفية التعايش والتعارف بين الثقافات. وهي تصبح انطلاقا من هذا المنظور نقيضا للمركزية والعنصرية والهيمنة، داعية إلى تقبُل الاختلاف واحترام الآخر.

من المعلوم أن الثقافات لا تكتسب خصائصها بالانعزال، إذ »لم يشهد التاريخ يوما قيام حضارة أو ثقافة أمة ما بمعزل عن الحضارات أو الثقافات الأخرى، ذلك أن تزاوج الثقافات هو الذي ينمي كل ثقافة ويثريها، فإذا تقوقعت ثقافة على نفسها كان مثلها كمثل الأسرة تقتصر في التصاهر على الأقرباء فحسب فيضعف فيها النسل وتدركها الآفات والعلل فتعقم ويصيبها الشلل والجمود. وتتزاوج ثقافة بلد ما بثقافة أجنبية عنها إما عن طريق الوفادة، أو عن طريق الاجتلاب. والوفادة تحدث بالغزو أو بالتحاور والتبادل التجاري. أما الاجتلاب فيحدث عندما ينمو وعي أمة ما تهيأت لها ظروف اليقظة الفكرية فتطلعت إلى البلاد الأخرى تنقل عنها علومها وفنونها وأسباب نهضتها المختلفة. وإذا تطرقنا إلى الأثر المتبادل في النواحي الثقافية المختلفة وضروب الإنتاج العقلي، نجد أن الدارسين في ميدان العلوم، نظرية أو علمية، قد أتيح لهم في جميع العصور أن يتواصلوا تواصلا فعليا وأتاحوا للمؤثرات العلمية ورسالة العلوم بأن تخترق الحدود والأقطار دون نشأة صعوبة جدية تعوق ترجمة المؤلفات العلمية ونقلها من لغة إلى أخرى. أما نقل الآثار الأدبية فتكتنفها صعوبات كثيرة في الترجمة من لسان إلى لسان. وهكذا نجد تعاونا في المجال العلمي في جميع أنحاء العالم، فالعلم لا وطن له، أما الثقافة فلها وطن. «(إ. ز خورشيد، المرجع السابق، ص 26).

و »يتبوأ الأدب باعتباره شكلا من أشكال الفنون مكانة بارزة في المشهد الثقافي، إلا

أن التعرف على الآثار الأدبية خاصة روائع الأدب التي أدركت العالمية، فهمها أو تذوقها لا يصبح ممكنا إلا إذا مرت بعملية الترجمة. و لو سلّمنا جدلا بأن الترجمة بعيدة عن أن تكون الوسيلة الناجعة لنقل الآثار الأدبية نقلا سليما، فإنها بالرغم من ذلك تكاد أن تكون الوسيلة الوحيدة لتوصيل الآثار إلى أذهان الناس في مختلف أنحاء العالم وتعرّفهم بها. فلا يمكن أن يختلف اثنان في القول بأن الترجمة هي بوابة مفتوحة على الآخر تُمكِنه من التعرف على مختلف الشعوب ومميزاتهم، فعدّت أحسن سبيل للاتصال بتلك الثقافات. فكل الصور والأفكار الثابتة التي رسمت عن الشعوب نجدها قد توافدت إلينا بفعل ترجمة آثارها الأدبية، أما وسائل الإعلام فتأتي بمثابة عناصر مكملة لتلك النظرة دون أن ننسى الدور الذي تلعبه الترجمة في وهب تلك الآثار حياة جديدة«. (G. Mounin,1976, p. 154)

في ضوء ما سبق، أصبح مصطلح " قابلية الترجمة " المفهوم الرئيسي لتلاقي الثقافات وتفاعلها والتبادل بينها. وعدّت الترجمة الأدبية وسيلة لمد جسور الحوار بين الثّقافات، وآلية للانفتاح على قضايا الهوية والعلاقة مع الآخر، وأداة يتحقّق بفضلها التّواصل الثّقافي والإبداعي والأدبي، وترتسم بموجبها صور الشّعوب، الشيء الذي من شأنه أن يساهم في إرساء مبدأ الاحترام و إحلال السلام بينها. يقول ستانتشيف **Stancev** :

« The literature of a people reflects their way of life, their vision of the world and their cultural values. This highlights, as just pointed out, the importance and nobility of the translator's task of bringing different peoples together via a mutual knowledge and understanding of their literatures, thus opening new paths towards mutual respect and peace» (Mohamed Alhussin & Hesham Hassan, 2009/2010, p. 37)

ومفاد قوله » أن أدب الشعوب يعكس طريقتهم في الحياة ونظرتهم إلى العالم وقيمهم الثقافية. ومن شأن ذلك أن يبرز أهمية ونبل مهمة المترجم التي ترمي إلى فتح سبل للتقارب بين مختلف الشعوب والتعارف والتبادل بينها وفهم آدابها، سبل جديدة تؤدي إلى الاحترام المتبادل والسلام. « (ترجمتنا)

كثيرا ما » اقترن تعريف الترجمة بالنقل بين اللغات، إلا أن الأمر لا يقتصر على النقل بل تجاوزه إلى التواصل بين مختلف الثقافات والتعارف ليس بمقتضى وجهة نظر

الثقافة التي ننتمي إليها، بل بخصائص الثقافة الأخرى. كما تهدف الترجمة إلى الانفتاح الذي تطفو على إثره المميزات الخاصة بكل ثقافة كي تسمح لنا بمعاينة اختلافها، وبهذا الشكل يتسنّى لنا التمييز بينها بفضل نسبة غرابة بعضها عن بعض. لكن كثيرا ما تنكرت بعض الثقافات لثقافة الآخر لسبب أو لآخر. ومنه، وجب النظر في الهدف من العلاقة بين الثقافات وفقا للأهداف المرجُوة منها حتى يرتسم مسار الترجمة: إما أن تتمّ عملية ترجمة الثقافة بمقتضى تعابيرها الخاصة إلى ثقافة أخرى، أو أنها تحاول أن تُعرف بنفسها في الثقافة الأخرى بمقتضى الخصائص اللغوية للثقافة المستقبلة. فإذا انطبق الأمر على الحالة الثانية، نكون قد رسمنا حدودا للترجمة الأدبية إذا اعتبرنا أنه لا يمكن فهم مميزات الثقافات الأخرى إلا إذا كُيّفت مع ما يتماشى ومرجعيات الثقافة المستقبلة، فتخضع لعملية التغيير والتشويه بغية ملاءمتها. في حين، تضطلع الترجمة بمهمة الحوار بين الثقافات وتبادل الأفكار ونشر المعرفة، فهناك ترجمات تمحي كل اختلاف ثقافي وأخرى تُضخم فيه، وهناك ترجمات تنجح في الحفاظ على هذا الاختلاف وتحترمه، فيُصبح بهذا الشكل من الضروري التفريق بين أنماط الترجمات قبل استعمالها في المقارنة.« (Mounin, 1963, p. 155))

والحقيقة أن الثقافات تكتسب خصائصها باحتكاك بعضها ببعض في مساحة بينية حتى وإن كانت لا تعكس بدقة مميزات كل منها، لكنها تسمح على الأقل لكل واحدة أن تعكس نفسها في الثقافة الأخرى، ولا يتجسد ذلك فعليا إلا بتقوية الوعي بضرورة تلاقي الثقافات أين ترى كل ثقافة نفسها تنعكس في مرآة ثقافة أخرى تلتقي بها. وفي هذا السبيل، تنفتح الأبواب لمفهوم " الغيرية" الذي يعد مفهوما جوهريا في المبحث الثقافي، ويبقى عبارة عن فرضية مجردة لا تصبح ملموسة إلا إذا تجسدت على أرض الواقع. وتتحدد مختلف المظاهر التي تأخذها " الغيرية " في الترجمة وفقا للأسلوب الترجمي الذي نختاره، فهي تأخذ أشكالا متميزة لا يمكن إدراكها إلى حين تمظهرها فعليا في الممارسة، فترجمة "الآخر" تعني أن تأخذ "الغيرية" حقها دون إخضاعها للفرضيات المسبقة.) (Wolfgang Iser, 1994, p. 13

هكذا ظلت رهانات التثاقف في قلب التفكير الذي يصاحب الممارسات الترجمية التي يفرضها كل انتقال لغوي بين نصوص تم إنتاجها ضمن سياقين ثقافيين مختلفين، ويطرح إشكالية ثقافية لارتباط هذه الممارسة بعلاقة بعض الآداب ببعضها الآخر

وبالأيديولوجية أي بالسياسة التي لا تقتصر على الأمن القومي أو الاقتصادي فحسب، بل بسياسة ثقافية وسياسة في الأدب والترجمة. ويأخذنا الحديث في سياق سياسة الترجمة، إلى الحديث عن تلك العوامل التي تتحكم في اختيار أنواع النصوص، ليتم استيرادها عبر عملية الترجمة إلى لغة/ثقافة معينة في زمن معين، ويمكننا الإقرار بوجود هذه السياسة بقدر ما كان الاختيار موجها ومدروسا. (TOURY, 2000, p. 202) حيث تتجسد هذه الممارسات عبر استراتيجيات تتباين بتباين المنهجية أو النظرية التي تمليها الرهانات على المترجم ويظهر إثرها موقفه من الترجمة. لكن يبقى مرام التبادل بين الثقافات عبارة عن فرضية مجردة لا تصبح ملموسة إلا إذا تجسدت على أرض الواقع عبر مبدأ الأخلاق في الترجمة الذي دعا إليه كثير من المنظرين، لأنه حسب رأيهم معيار من معايير نجاح الترجمة وتكريسا لجوهرها، وحلقة من حلقات تعزيز الحوار الجاد بين الثقافات والأديان المؤدي إلى التعايش والتبادل بدلا أن تقف عقبة في طريقه.